

## معركة النهروان.. انتصار لراية الحق والعدل



المجتمع الإيماني هو الذي يعيش روح الجهاد وعيّاً وحكمةً وسلوكاً يسعى من خلاله إلى تثبيت الحقّ ونصرته، وعون الدّين على أن يقوى أمره في الواقع، فلا مكان للتقاعس والتخاذل والضعف في قاموس الإنسان الملائم سبيلاً وتعاليمه. يدعونا الإمام عليّ (عليه السلام) إلى التمسّك بالحقّ مهما اشتدت الظروف وتعقّدت، وأن نشتري آخرتنا بدنيانا، فنتوّحد باه، وننهض بواجب الجهاد وإعلاء كلمة التوحيد، ونشر الدين ونصرة أهله، وتثبيته في ربوع الحياة، وأن نحافظ على ديننا ونتمسّك به، ولا نفرّط به لمصلحة هنا أو هناك، لأنّ من يفرّط بدينه، فقد فرّط بوجوده وكيانه وهويته، وصار بلا قيمة وبلا غاية.

يقول أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) في خطبة له يصف فيها المتخاذلين من أصحابه عن نصرة الحقّ: «كم أداريكم كما زُدارَ البكارُ العدةُ والثّيابُ المتداعية! كلاماً حيصلت من جانب تهتك من آخر، كلاماً أطلّ عليكم منسرٌ من منابرِ أهل الشّام، أغلق كلّ رجل منكم بابه، وانحرَ انحرافَ الصّباءِ في جرّها، والصّباءُ في وجارها. الذّليل واه من نصرتموه! ومن رمي بكم، فقد رمي بأفوقِ ناصليِ. إنّكم - واه - لكثير في الbahات، قليل تحت الرياحات، وإنّي لعالمٌ بما يصلحكم ويقيم أودكم».

ولكني لا أرى إصلاحكم بـإفساد نفسي. أضرع إخودكم، وأتعس جدودكم! لا تعرفون الحق<sup>٣</sup> كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل كـإبطالكم الحق<sup>٤</sup>!».

ففي معركة النهروان التي حدثت في سنة 38 هـ بين جيش الإمام علي<sup>عليه السلام</sup> بن أبي طالب (عليه السلام) والخوارج، انتهت المعركة بانتصار علي<sup>عليه السلام</sup> ومقتل جميع الخوارج البالغ عددهم 4000 ما عدا أقل من 10. وبعد واقعة التحكيم التي جرت في حرب صفين عاد الإمام علي<sup>عليه السلام</sup> بجيشه إلى الكوفة، ففوجئ بخروج طائفة من جيشه يبلغ تعدادها أربعة آلاف، معلنة تمرد<sup>ها</sup> على الإمام (عليه السلام) فلم تدخل معه الكوفة، وإنما سلكت سبيلاً إلى حرراء، فاتخذت موقعاً لها هناك. والجدير ذكره أن<sup>»</sup> الفئة التي خرجت على الإمام علي<sup>عليه السلام</sup> كان قوامها من الفئات التي أرغمتها على التحكيم في حرب صفين. فعند تمرد تلك الفئة وخروجها من جيش الإمام (عليه السلام) أعلنت مبررات خروجها تحت شعار: «لا حُكْمَ إِلَّا لِهِ»، لا نرضى بأن تحكم الرجال في ديننا، قد أمضى الله حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا معنا في حكمنا عليهم، وقد كانت مذمّة خطيئة وزلة حين رضينا بالحكامين، وقد تُبنا إلى ربنا، ورجعنا عن ذلك، فارجع يقصدون الإمام (عليه السلام) كما رجعنا، وإنما فنحن منك براء». بيّن الإمام (عليه السلام) أوضح لهم حينئذٍ أن<sup>»</sup> الخلق الإسلامي يقتضي الوفاء بالعهد الهدنة لمدّة عام الذي أُبرم بين المعسكرين قائلاً: «وَيَحْكُمُ، بَعْدَ الرِّضَا وَالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ أَرْجِعْ؟». أوَلَيْسَ إِنْ يقول: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا أَيْمَانَكُمْ تَوْكِيدَهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (النحل/ 91). إنما المعارضه المارقة لم تصغ إلى توجيهات الإمام (عليه السلام) واستمرّوا في غيرهم، وتعاظم خطرهم بعد انضمام أعداد جديدة لمعسكرهم، وراحوا يعلنون القول بشرك المنتدين إلى معسكر الإمام (عليه السلام) - بالإضافة للإمام - ورأوا استباحة دمائهم. ولقد كان الإمام (عليه السلام) عازماً على عدم التعرّض لهم ابتداءً ليمنحهم فرصة التفكير جدياً بما أقدموا عليه، عسى أن يعودوا إلى الرأي السديد.

فلمّا بدأ الخوارج القتال، طوّقتهم قوّات الإمام (عليه السلام) وتحقّق الطفر لراية الحقّ. وهكذا قضى الإمام (عليه السلام) في حرب النهروان على حركة الذين سبق لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن سماهم بالمارقين، حين أشار إليهم في حديث رواه أبو سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «إن قوما يخرجون يمرقون من الدين مُرْوَق السُّبُّهم من الرّمية». وآلله وسلم